

#جديد

◆ وقفة منهجية مع قوله تعالى:

هُمُّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُوهُمْ

الشيخ الدكتور /

سامي العريدي - حفظه الله



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى الأنبياء والرسل أجمعين، وبعد:

إن من القواعد المنهجية في الصراع بين الحق والباطل قاعدة:

(الحذر أشد الحذر من العدو الذي يتستر زروا وبهتاننا بالحق وهو في الحقيقة في صف الباطل)

وهذا الصنف من الناس يعرف من مواقفه و كلامه فتجده يزعم ويتظاهر بأنه من أهل الحق وحقيقة أمره أنه من أهل الباطل وأنصاره يظهر ذلك من مواقفه وكلامه كما قال الله تعالى:

قَدْ لَدَّتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ..

والموقف الشرعي من هذا الصنف من الناس هو الحذر منهم أشد الحذر فهؤلاء هم العدو الحقيقي كما بين ذلك ربنا تبارك وتعالى بقوله:

هُمُّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُوهُمْ

قال سيد قطب -رحمه الله-:

(هم العدو الحقيقي. العدو الكامن داخل المعسكر، المختبئ في الصف. □ وهو أخطر من العدو الخارجي الصريح)

وقال الشيخ ابن عاشور -رحمه الله-:

(والتعريف في العدو تعريف الجنس الدال على معين كمال حقيقة العدو فيهم، لأن أعدى الأعداء العدو المتظاهر بالموالاة وهو مداح وتحت ضلوعه الداء الدوي. وعلى هذا المعنى رتب عليه الأمر بالحذر منهم.

والعدو: اسم يقع على الواحد والجمع.

والمراد: الحذر من الاغترار بظواهرهم الخلابية لنلا يُخلص المسلمون إليهم بسرهم ولا يتقبلوا نصائحهم خشية المكائد .

والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليبلغه المسلمين فيحذروهم)

وقال الإمام القرطبي -رحمه الله-:

في(قوله تعالى : {فَاحْذَرُهُمْ} وجهان:

أحدهما: فَاحْذَرُ أَنْ تَتَّقَ بِقَوْلِهِمْ أَوْ تَمِيلَ إِلَى كَلَامِهِمْ.

الثاني : فاحذر ممايلتكم لأعدائكم وتخذيلهم لأصحابكم.)

ويكفي العبد لمعرفة خطورة هذا الصنف من الناس التأمل والتفكير في قوله تعالى عنهم:

قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)

فكيف يقرب أو يأمن المجاهد هذا الصنف الذي أخزاه الله ولعنه وطرده وقاتله ومن قاتله الله ولعنه فهو مذموم مغلوب مقهور -نسأل الله العافية والسلامة-

وما دلت عليه هذه الآية أشارت إليه وتضمنته آية آل عمران: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنَتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)

قال الشيخ السعدي -رحمه الله:-

ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم يظهر ونهم على سرانيرهم أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية وذلك أنهم هم الأعداء الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء فظهرت على أفواههم {وما تخفي صدورهم أكبر} مما يسمع منهم فلهذا { لا يألونكم خبالا } أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة وعمل الأسباب التي فيها ضرركم ومساعدة الأعداء عليكم قال الله للمؤمنين { قد بينا لكم الآيات } أي: التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية { لعلمكم تعقلون } فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو، فليس كل أحد يجعل بطانة، وإنما العاقل من إذا ابتلى بمخالطة العدو أن تكون مخالطة في ظاهره ولا يطلعه من باطنه على شيء ولو تملق له وأقسم أنه من أوليائه.)

فهذا الصنف من الناس من أخطر الأعداء على الإسلام والجهاد والدعوة فينبغي الحذر منه أشد الحذر وينبغي التحذير منه أبلغ التحذير

قال الشيخ أسامة بن لادن -تقبله الله:-

(فكشف حقيقة المنافقين منهج قرآني ، كما أجمع العلماء على وجوب كشف المنافقين والمبتدعين، وقد سنل الإمام أحمد رحمه الله: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال (إذا قام وصلى واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين. هذا أفضل).

فالأمة بحاجة ماسة اليوم، وخاصة بعد هذه الحرب على غزة، أن تعرف المنافقين على جميع الأصعدة، لتحذيرهم فتجاهدهم، كما في قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)

وقول الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)

فخلاصة القول: لا بد من قادة صادقين وتوعية شرعية وسياسية وجهاد في سبيل الله وكشف لحقيقة المنافقين وتمايز ومفاصلة معهم) خطوات عملية لتحرير فلسطين ربيع الأول 1430 (ص: 8)

وإن تقرب هذا الصنف من الناس واتخاذهم بطانة وتوليتهم أمور المسلمين والمجاهدين خيانة للأمانة قال الشيخ أبو عمر السيف -تقبله الله- في كتاب السياسة الشرعية ص295:

(من أداء الأمانات إلى أهلها أن تسند الوظائف والأعمال إلى أهلها من المجاهدين الصادقين، كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ فِي أَمْرِكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا،

فلا يجوز أن تسند الولايات إلى القاعدين من المنافقين ومرضى القلوب، فإن هؤلاء ليسوا من أهل الولايات العامة في الإسلام.

فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يسند الولايات لأحد من المنافقين، وإنما كان يولي أصحابه رضي الله عنهم الذين جاهدوا في الله حق الجهاد، ونصحوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين،

وأما أهل النفاق فليسوا من أهل النصح للإسلام والمسلمين، وإنما دأبهم المكر والغش والحق الأذى والضرر بالمسلمين، ولهذا نهى الله عن اتخاذهم بطانة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عُنُقَكُمْ مِنَ الْأَمَانِ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

□ وبعد انتصار المجاهدين والتمكين لهم، سوف يسعى المنافقون إلى الإمارة والوزارة ويظهرون من حسن الكلام، والتشدد بالعبارة، وادعاء الأعداء الكاذبة عن تخلفهم عن الجهاد، ليرضى عنهم أهل الإيمان ويقبلوا عذرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَخْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ﴾.....

ومنهم من قد يدعي كذبا وزورا بأنه قد جاهد مع المجاهدين، أو قام بنصرتهم ومعاونتهم، حتى يحمد بما لم يفعل، كما قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَقَارَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَلْمِ الْإِنْسَانَ مِنْ بَعْدِ مَا قَبِلَ الْإِيمَانَ بَلَاغًا بِمَا كَفَرَ وَأَمْناً بِاللَّهِ فَأَذَى فِي اللَّهِ يَنْبَغِي وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، وقال تعالى ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ قَالَوا لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

وغيرها من الوسائل المخادعة التي يسلكها المنافقون للتوصل إلى الإمرة والولاية العامة،

وقد أوجب الله معاداتهم وأمر بأخذ الحذر منهم، ونهى عن اتخاذهم بطانة، فإن تغلغهم في أجهزة الدولة وتبوأهم المناصب المهمة يشكل خطرا على الدولة الإسلامية، ومرضا فتاكا يهدد بقاءها واستمرارها .

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- في مجموع الفتاوى (28/246):

(فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل قال النبي صلى الله عليه وسلم {من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله} . وفي رواية: {من ولي رجلا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أَرْضَى اللهُ منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين} رواه الحاكم في صحيحه . وروى بعضهم أنه من قول عمر: لابن عمر روي ذلك عنه . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه " من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين " . وهذا واجب عليه

□فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما أو ولاء عتاقة أو صداقة أو مرافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس : كالعربية والفارسية والتركية والرومية ؛ أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة ؛ أو غير ذلك من الأسباب أو لضغن في قلبه على الأحق أو عداوة بينهما ؛ فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

ثم قال : ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ . فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يؤثره في بعض الولايات أو يعطيه ما لا يستحقه ؛ فيكون قد خان أمانته ؛ وكذلك قد يؤثره زيادة في ماله أو حفظه ؛ يأخذ ما لا يستحقه أو محاباة من يداهنه في بعض الولايات . □فيكون قد خان الله ورسوله وخان أمانته . ثم إن المؤدي للأمانة مع مخالفة هواه يثبتته الله فيحفظه في أهله وماله بعده والمطيع لهواه يعاقبه الله بنقيض قصده فيذل أهله ويذهب ماله....)

يظهر لنا مما سبق بكل وضوح وجلاء الموقف الشرعي في التعامل مع هذا الصنف من الناس..

فمن رأيناهم يقربهم ويتخذهم بطانة ويسلمهم المناصب أو يفوض لهم قيادة المجاهدين ونحوهم علمنا أنه يخالف منهج القرآن في ذلك ويخون الأمانة -نسأل الله العافية والسلامة-.

